

## أيقونة وطنية ليبية مزجت القيادة بالتقاط الحس الشعبي

ونيس بوخمادة

الفهد الأسود وقاهر الإرهابيين



● بوخمادة بعد وريثاً طبيعياً للراحل عبدالفتاح يونس في القيادة والطباع، وقد حظي بالثناء لمقاتلته مناصري القذافي في المعركة الأخيرة من أجل السيطرة على سرت.

● حامل لقب الفهد الأسود وقاهر الإرهابيين، يعتبر من ركائز الجيش الوطني البارزة والأساسية، لما كان له من دور في محاربة الإرهاب والتطرف في مختلف المناطق، خاصة في الحرب ضد داعش بدرنة.

الحبيب الأسود  
كاتب تونسي

مع اندلاع أحداث فبراير 2011 كان من أوائل المنتسبين إلى صفوف المعارضة المسلحة، فقد كانت "الصاعقة" في مقدمة الأجهزة العسكرية التي أعلنت التمرد بالمنطقة الشرقية تزامناً مع الانتفاضة ضد نظام معمر القذافي، حينها أعلن قائدها العام ووزير الداخلية آنذاك عبدالفتاح يونس أنه سيكون في خدمة الثورة الشعبية، وفق تعبيره، كما أعلن نائبه خليفة المسماري أنه انضم إلى الليبي، وقد اغتيل يونس في يوليو 2011، وتوفي المسماري في يوليو 2019، وبقي قائد "الصاعقة" ونيس بوخمادة.

ولد بوخمادة في العام 1960 بمدينة مرزق، إحدى واحات الجنوب والتي تعتبر واحدة من أقدم المدن الليبية، وكانت عاصمة إقليم فزان قبل سبها، حيث كانت مركز حكم دولة أولاد احمد لقرن عديدة. ومن الناحية الاجتماعية، ينتمي بوخمادة إلى قبيلة "المغاربة" العريقة التي تعتبر إحدى أكثر قبائل الشرق تأثيراً وخاصة في منطقة آجديبا والهلالي، ولها امتدادات في أرجاء البلاد وفي دول الجوار.

في مطلع الثمانينات تخرج من الكلية العسكرية، وشارك في حرب تشاد خلال الثمانينات، قبل أن يتقلد عدة مناصب بالقوات الخاصة أبرزها أمر فرع الاحتياط قاد بوخمادة العمل الميداني في عدة محاور بالجبهة الشرقية، ليكلف بعد الإطاحة بالنظام السابق بمهمة أمر لعمليات سبها لتأمين المدينة وضواحيها الواقعة جنوب غرب البلاد.

## خبرة الميدان

سعى إلى الحفاظ على النسيج الاجتماعي بين السكان المحليين الذين لا يزالون يذكرون له تشديده على ألا يستخدم الجيش قوته على حساب تقاليده العسكرية، وعلى حساب القيم والأعراف الاجتماعية والأخلاقية، وقد استمعوا إليه في مناسبات عدة وهو يعبر عن ذلك بلغة الناس بما تحمته من بساطة المفردات وقوة التعبير "ليس من عوائد أهلنا ولا من أخلاقنا أن نقصف بيوت الناس بحجة مطاردة المارقين".



الليبيون لا يزالون يذكرون لبوخمادة تشديده على ألا يستخدم الجيش قوته على حساب تقاليده العسكرية، وعلى حساب القيم والأعراف الاجتماعية والأخلاقية

قام بوخمادة بدور مهم في محاولة حقن الدماء بين أبناء الجنوب وخاصة في ظل الصراع المحتدم في العام 2012 بين قبائل سبها والمسلحين التبو، وبين القذافي وأولاد سليمان، وقد استفاد من موقعه العسكري ومن انتمائه القبلي في تحقيق أهدافه، قبل أن يعود إلى بنغازي شرق البلاد، حيث المقر الفعلي والرسمي للقوات الخاصة "الصاعقة" التي تم تأسيسها هناك عام 1970 تحت إشراف عبدالفتاح يونس بصفتها أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة سبتمبر 1969، ومن خلال الاستعانة بخبرات القوات المسلحة المصرية، كما تم تأسيس مدرسة الصاعقة والمضلات وبدأت في إعداد كوادر القوات الخاصة الأولى، ومن بينها بوخمادة.

شهدت بنغازي حالة من الفوضى العارمة بعد العام 2011 نتيجة لصراع النفوذ الذي دشنته الجماعات الإرهابية المتطرفة ذات الجذور التاريخية في شرق ليبيا. وكان الغرض من ذلك السيطرة على السلطة والثروة ومخازن السلاح وتغيير النموذج المجتمعي في اتجاه مشروع الدولة الدينية التي كان هناك تحالف من أجل ضمان قيامها بين جماعة الإخوان،

الجيش ضد داعش في درنة، وقد عرف بشجاعته في ساحات القتال وتواضعه وبساطته في التعامل مع الآخرين، ما جعل منه أيقونة وطنية طالما أربعت من يعيئون في البلاد إرهاباً وفساداً.



المزاج الشعبي في شرق ليبيا لا يمكن فصله عن نظيره في الجارة الكبرى، مصر، خاصة بعد الإطاحة بحكم الإخوان، وقد كان بوخمادة يتمثل بدور العسكري الوطني في الوقت الذي كان فيه السكان المحليون يبحثون عن قائد قوي يعيد إليهم الاستقرار بعد سنوات الفوضى والتطرف الديني.

واجه الرجل عدة محاولات اغتيال، منها ما حصل قبل أربعة أعوام، في محيط مستشفى 1200 حين كان يشارك في إعداد مراسم تشييع جثمان علي المرتجع التاورغي، وفي السنة الماضية عندما نفذ إرهابيون تفجيراً استهدف مقبرة الهواري خلال تشييع جنازة اللواء المسماري.

## ركيزة أساسية

في الأول من نوفمبر الجاري، وبينما كان واقفاً يلقي كلمة في تجمع شعبي بحضور عدد من المسؤولين والإعيان والوجهاء وضباط الجيش، فقد بوخمادة توازنه وسقط مغشياً عليه، ليعلن عن وفاته بسبب أزمة صحية طارئة يقول المقربون منه إنها مرتبطة بقلبه الذي سبق أن خضع لعدد من التدخلات الجراحية.

وأعلن رئيس مجلس النواب الليبي المستشار عقيلة صالح، الحداد الرسمي في كافة أنحاء البلاد لمدة ثلاثة أيام، واصفاً بوخمادة بأنه أحد أبطال القوات المسلحة الليبية الذين تصدوا للإرهاب والتطرف وخاضوا معارك العزة والشرف في سبيل الدفاع عن الوطن ووصون أهله وترابه، وقالت القيادة العامة للجيش الليبي في بيان لها "إذ ننعى للسواء ونيس نسنذكر مواقفه البطولية في محاربة الإرهاب ووقوفه الدائم إلى جانب الشعب فقد كان دائماً يتقدم الصفوف لم تغره المكاتب والمناصب ولم يغيره متاع الدنيا الزائل".

رحل بوخمادة تاركاً وراءه قصة عسكرية كان مثالا للتواضع في الحياة وللانضباط المهني وحكمة القيادة العسكرية والقدر على مواجهة التحديات في الميدان، وسينكر التاريخ أنه كان واحداً ممن واجهوا الإرهاب والتطرف والتدخل الخارجي في شؤون بلادهم، ودافعوا عن وحدة ليبيا وسيادتها الوطنية.

وهذا يعني أن معظم الجرائم تبقى من دون حل، لكن عندما تصاعدت حدة العنف في المدينة وأثبتت الشرطة النظامية أنها عاجزة عن معالجته، أعلن بوخمادة أن الكيل طغى وجند قوات الاحتياط في كتيبة الصاعقة.

## حاكم بنغازي الحقيقي

أصبح بوخمادة الحاكم العسكري الفعلي لبنغازي، متولياً مهمة تنسيق جهود الميليشيات المتنوعة والهيئات الحكومية. وطوق رجاله المدينة بنقاط تفتيش محصنة بأكياس الرمل، وسيروا دوريات مسلحة في شوارعها الرئيسية، ودهموا سوق السلاح المقام علناً. كما اشتبكوا مع أنصار الشريعة، أشهر المجموعات الإسلامية في المدينة. انتهت المواجهة مع أنصار الشريعة في نهاية المطاف بالمفاوضات، مسلطة الضوء على عنصر رئيسي في طريقة بوخمادة في الحفاظ على الأمن في بنغازي، وهو أنه يعتمد بشكل أقل على السلطات الرسمية، وبشكل أكثر على الدماء والسحر والتفاوض، والأهم على النشب القبلي.

ويعد بوخمادة "أقرب إلى شيخ قبلي منه إلى قائد عسكري" كما يصفه أحد الضباط العسكريين. ومع أنه، كما سلف، يتحدر من قبيلة المغاربة الشهيرة، إلا أن قبائل بنغازي البارزة

النظامية، فإما أن تقاوم الإرهاب أو أن يطاح بعناصرها واحداً بعد الآخر في مسلسل الاغتيالات والتصفيات والهجمات المتكررة على مواقعها.

ونشر مركز مالكوم كير كارنيغي دراسة للباحث فريدريك وير، تحدث فيها عن مشاهداته ببنغازي التي كانت آنذاك تشهد حرباً يتزعمها المتشددون الدينيون وقوى الإسلام السياسي للسيطرة على المدينة وتصفية القوى الليبرالية والتقدمية وبقايا الجيش والغرب. وشهدت تلك الفوضى أوجها في 11 سبتمبر من العام التالي عندما هاجمت مجموعة مسلحة مقر القنصلية الأميركية في بنغازي بالتزامن مع الذكرى الحادية عشرة للهجوم على نيويورك، ما أدى إلى مقتل السفير الأميركي في ليبيا كريس ستيفنز.

أدت تلك الحادثة إلى الكشف عن حجم الخطر الإرهابي الذي بات يهدد ليبيا والمناطق في ظل عاصفة الربيع العربي، ودفع بالسكان المحليين إلى الانتفاض في مناسبات عدة ضد الميليشيات المسيطرة على المدينة ومنها تنظيم أنصار الشريعة الذي تأسس في شهر مايو من السنة ذاتها، بعد الانفصال عن سرايا راف الله السحاتي، وكان أول ظهور إعلامي له بعد أن أقام "الملتقى الأول لنصرة الشريعة" بحضور العديد من الكتائب الإسلامية ذات النوجه ذاته من مدن أخرى كترنة ومصراتة وسرت. حيث قامت تلك الميليشيات بالتجمع في إحدى ضواحي بنغازي والدخول معاً بمسجلتها رافعة علم التنظيم.

وحيث شهدت بنغازي أحداث السبب الأسود، في واحدة من أشنع جرائم الميليشيات الخارجة عن القانون والجماعات الإرهابية المرتبطة بمشروع الإخوان وحلفائهم في ليبيا والمنطقة العربية، خرج عدد من المتظاهرين أمام مقر درع ليبيا، مطالبين بالميليشيا التي كان يقودها الإرهابي وسام بن حميد بترك مقرها وتسليمها للقوات الخاصة. لكن رد فعل الإرهابيين الذين كانوا يحظون بغطاء سياسي من سلطات المؤتمر الوطني العام بطرابلس، كان دعواً، حيث واجهوا المتظاهرين السلميين بالرصاص الحي ما أدى إلى سقوط نحو 40 قتيلاً و154 جريحاً.

## حرب المتشددين

فرض انتشار الإرهاب في شرق البلاد بذلك الشكل المخيف تحديات كبرى على القوات الخاصة بقيادة بوخمادة، باعتبارها القوة العسكرية الأبرز التي حافظت على هيكلتها وتلاحم أفرادها وانضباطهم للأوامر وقدرتهم على تنفيذ المهام التي توكل إليهم، ما جعل "الصاعقة" تدخل في مواجهات مسلحة مع الجماعات الإرهابية، وقال مراقبون أنذاك إن حرب وجود فرضت على القوات

